دي سوسير واللسانيات البنيوية

De Saussure and structural linguistics

ط.د/ صوالح رجاء *
المركز الجامعي سي الحواس-طريق امدوكال -بريكة 05001، (الجزائر)
radjaa.soualah@cu-barika.dz

د. بلعيد خليل صلاح الدين
المركز الجامعي سي الحواس- طريق امدوكال -بريكة 05001، (الجزائر):
مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية –جامعة المسيلة
khalilsalah.belaid@cu-barika.dz

تاريخ الارسال:2024/08/09	تاريخ التقييم:2024/11/29	تاريخ القبول:2024/12/15

الملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على عالم اللغة السويسري فيرديناند دي سوسير، الذي أحدث قفزة نوعية في عالم الدراسات اللغوية الحديثة من خلال اتباع الأسلوب العلمي وبدراسته اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها معتمدا المنهج الوصفي ومبدأ المحايثة، ومن هنا كان ميلاد اللسانيات الحديثة التي كانت انفجارا هائلا في مجال الدراسات اللغوية العالمية اعتمادا على المحاضرات التي ألقاها دي سوسير، وقام بجمعها ونشرها ألبيرت سيشهاي وتشارلز بالي لتبصر أعماله النور وينبثق الفكر البنيوي الوصفي.

كلمات مفتاحية: دي سوسير؛ اللسانيات؛ البنيوية.

Abstract : This paper aims to identify the Swiss linguist Ferdinand de Saussure, who made a qualitative leap in the world of modern linguistic studies by following the scientific method and studying language for itself and for itself, adopting the descriptive approach and the principle of immanence, hence the birth of modern linguistics, which was a huge explosion In the field of global linguistic studies, depending on the lectures delivered by de Saussure, which was collected and published by Albert Sechhai and Charles Baley ,to see the light of his works and the descriptive structural thought emerges .

Keywords :**De Saussure, Linguisics, Stracturalism**.

*المؤلف المراسل.

1.مقدمة:

تهتم اللسانيات بدراسة اللغات البشرية دراس علمية وبالكشف عن خصائصها، ملامسة بذلك جميع مستوياتها الدلالية والصوتية والتركيبية والنحوية والصرفية....، كما تدرس التباين والتشابه بين مختلف اللغات الإنسانية. وهي علم قديم قدم الإنسان فقد عرفها العرب واليونان والهنود وغيرهم من الشعوب، إلا أن دراستها بطريقة مختلفة علمية لم تكون إلا في مطلع القرن التاسع عشر مع العالم السويسري Frdinand De-Saussure الذي منح لدراس اللغة ملمحا ومنحى جديدا ونهجا علميا مغيرا ومختلفا عن سابقيه وقد تبعه ومشى على خطاه باعتباره مرجع اللسانيات الحديث معظم اللغويين الذين جاؤوا من بعده.

وأهم ما اعتمد عليه دي سوسير هو نظرته العلمية الوصفية للغة وقد اهتم بدراسة البنية أو كما سماها نسقا في أغلب الأحيان مستقلة عن كل ما يحيط بها، كما درس اللغة معتمدا على مجموعة من الثنائيات التي سنذكرها فيما بعد والتي أشهرها اللغة والكلام، الدال والمدلول...، ومن هنا سيكون منطلق **تساؤلاتنا**:

- من هو دي سوسير؟
- وما الذي أضافه للدراسات اللغوية؟
- وما أشهر أعماله وثنائياته؟
- ما المقصود باللسانيات البنيوية؟ وما أهم مستويات تحليلها؟

أما أهداف دراستنا فتتلخص في التعرف على عالم اللسانيات دي سوسير وأهم ما أفضى به في حقل علم اللغة أو اللسانيات الحديثة.

منهج الدراسة:

كان المنهج المعتمد في الدراسة وصفيا تحليليا استقرائيا لأهم ما ورد عن هذا اللغوي وأفكاره التي لازالت محل جدال، ولم تفهم كما أراد لها أن تكون لكننا حاولنا من خلال كتب ومصادر أجنبية وعربية تقصي الحقيقة لنصل في الأخير إلى أنه عالم وباحث استطاع الوصول إلى أفكار علمية دقيقة في علم اللغة لم يسبقه إليها أحد واضعا حجر الأساس لعلم اللغة الحديث – اللسانيات – وفاتحا المجال العلمي للبحث في اللغة لمن جاؤوا بعده.

2. دي سوســير:

Ferdinand De – Saussure فرديناند دي سوسير عالم لساني ولغوي سويسري، هو مؤسس اللسانيات الحديث أو علم اللغة الحديث ، من مواليد 1857 بجنيف السويسرية

في أسرة معروفة بالعلم وبعلمائها الكثيرين ، وهو من أصل بروتستاني فرنسي، توجهه في الدراسة كان علميا (فيزياء وكيمياء) إلا أن اهتمامه باللغة قد كان مبكرا وبارزا أكثر من الجانب العلمي، فقد تعلم اليونانية إضافة إلى اللغات اللاتينية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية في سن الخامسة عشر ، وهذا ما حدد منذ البداية ملمح توجهه اللغوي اللساني.[1]

دخل الجامعة سنة 1875 لإتمام دراسته طوعا لما أراده والداه في مجال الطبيعة والكيمياء إلا أن توجهه اللغوي قد طغا وساد، ففي عام 1876 رحل وتوجه إلى ألمانيا ودرس بجامعة Leipzig " ليزيج"، وهي من أكبر جامعات أوروبا وأكثرها بروزا وتطورا في البحوث والدراسات اللغوية او اللسانية فكانت مرتكزا لجماعة من اللغويين الذين عرفوا باسم النحويين الجدد، فدرس النحو المقارن مع جماع النحاة المحدثين واهتم أيضا بدراسته لمجموعة من اللغات السنسكريتية والسلافية والفارسي والإيرلاندية وغيرها.[2]

وفي هذه المرحلة أنتج كتابين أولهما سنة 1879 معنونا بمذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندو أوروبية Mémoire sur le systéme primitif des voyelles dans les langues indo-européennes، أما الكتاب الثاني فقد أصدر سنة 1881م بعنوان استعمال المضاف المطلق في اللغات السنسكريتية L'emploi de génitif absolu en sinskrit، وهما الكتابان اللذان حققا شهرة عالمية لدي سوسير وهو لم يتجاوز أربع وعشرين سنة.[3]

ولم تلق انتاجاته الحفاوة والاهتمام اللذان كان سوسير يأملهما بل ووجها بنوع من النقد وهو ما لم يعجبه ولم يتقبله، فغادر على إثر ذلك إلى باريس مستاء محطما أسفا، وفي عام 1880م وبعد خمس سنوات كلف بالتدريس في باريس وفيها لبث عشر سنوات ومن هنا كانت المرحلة الحاسمة والهامة في مساره اللغوي الإبداعي، ودرس في هذه الحقبة على يديه مجموع من العلماء الذين ذاع صيتهم فيما بعد في مجال علم اللغة أمثال دار مستتار Der mestetre وباسي Passy وجرامونت Grammont وميي Meillet ...الخ.

أما سنة 1891م فقد عاد على موطنه الأصلي جنيف ونال بجامعته منصب كرسي التاريخ المقارن للغات الهندو أوروبية الذي أعاد له الاعتبار كعالم في موطنه الأصلي إلى غاية 1896م، وبعد هذا التاريخ اختفى عن الأنظار ودخل في انطواء وعزلة وانقطع عن الإنتاج.

ومن هنا أي بعد هذا التاريخ شرع البحث حول الأسباب الموضوعية والحقيقة وراء هذا الانقطاع المفاجئ وازدادت الرغبة في إيجاد تبريرات وتفسيرات لهذا التصرف الغامض غير المبرر ولا المفهوم.

وأهم ما ذكر في هذا الصدد عن أحد تلامذته أنطوان ميي الذي جعل السبب أن سوسير يعاني من عقد شبه مرضية، برزت في أسلوبه وأعماله أثناء عودته إلى جنيف إلى

غاية انقطاعه، وسماها بعقدة وسواس الكمال المهيمن على عالم كان كل همه حل كل القضايا اللغوية وبشكل نهائي كامل، أما بنفنيست ودومورو فأرجعا ذلك إلى انهيار سوسير أمام إحساسه بعدم بلوغ أفكاره إلى أذهان وعقول الآخرين كما أراد لها أن تكون وتفهم وتستوعب وتفهم جيدا، وهي نفسها التي جمعت وتجسدت في كتابه الذي نشر بعد موته سنة 1916م على أيدي ألبيرت سيشهاي وتشارلز بالي.[4]

فقد حاول دي سوسير إيصال أفكاره إلى أعز أصدقائه وطلبته المقربين ، وجمعت بعها في الكتاب الذي يعتبر ثورة في الدراسات اللغوية الحديثة أو انقلابة كبرى في مجال دراسة اللغة، وقد وردت عدة تفسيرات حول فترة انقطاع سوسير، فقد فسرها كل على حسب وجه نظره وخلفيته إلا أن معظمها تجمع على كونها مرحلة مر فيها بأزمة نفسية أصيب بها، وكانت بسبب إحباطه بعد كل إنجازاته وجهوده الجبارة المختلفة والمميزة عن سابقيها التي لم تفهم ولم تلق الاهتمام والاستيعاب والفهم الذي انتظره، أو لعدم قدرته على إيجاد حلول نسقية كلية شاملة لكل القضايا اللغوية العالقة والمحيطة به من كل جانب.

إلا أن أعماله سواء التي جمعت في كتابه المشهور الذي ترجم إلى معظم لغات العالم وإلى اللغة العربية بترجمات خمس بارزة، وأضيفت إليها ترجمات وقراءات جديدة ككتاب دي سوسير من جديد للأستاذ مختار زواوي، وغيره من الكتب العربية والغربية وهي قراءات لمخطوطات ظهرت بعد نشر كتاب لأفكاره بسنوات، كانت هذه المخطوطات كصفعة للباحثين في علم اللغة استفاقوا من خلالها على اختلافات كثيرة بين ما خطه بيديه وما وجد في الكتاب المنسوب إليه فظهرت دراسات وقراءات جديدة على ضوء تلك المخطوطات لازالت قائمة إلى يومنا هذا.

ومجمل القول فيما سبق أن أفكار سوسير وما كان يتمناه من صدى لم يكن إلى بعد وفاته ليحدث نقلة نوعية في مجال اللسانيات العالمية تدرس في كل الجامعات ويحتذى ويقتفى أثره عند كل اللسانيين المحدثين والمعاصرين تبعا أو نقدا له المهم أنه المنطلق والأساس في الدراس العلمية للغة البشرية.

ساعد دي سوسير في تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين وأخرجها من قوقع اللسانيات التاريخية، وأعاد النظر في كل ما قاله أو تركه السابقون.[5]

فأفكار دي سوسير ليست مجرد إعادة نظر بل هي ثورة وانقلاب كبرى على ما أورده السابقون من مفاهيم ومسلمات لم يتجرأ أحد قديما على المساس بها أو مجادلة ما ورد فيها فأنزلها من قداستها إلى مستوى النظر والتمحيص.[6]

فدي سوسير قد ضبط العديد من المصطلحات والمفاهيم اللغوية التي لم تستطع الدراسات التاريخية الفصل فيها ولا النظر فيما جاء فيها بدقة، وأبعد اللغة عن الفلسفة حيث صار البحث في اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها. فهو يرى أن اللغة ليست ألفاظا وعبارات ومعاني فقط ينطق بها مجموعة من البشر بل هي شيء يربطهم ككل في إطار منظم، فهي تاريخ انتاج جماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده عل ممارسة هذه الملكة.[7]

فبذلك نجدها في رأيه نظاما من الدلائل راسخ في أذهان الناس، يمارسون هذا النظام عند التلفظ به، فهي ليست بتاتا نتاجا فرديا ولا نجدها إلا عند الجماعة. وقد ألقى دي سوسير في حقل الدراسات اللغوية بمبادئ وأفكار كثيرة ومتنوعة أبرزها:

- الثنائيات.
- اعتباطية العلامة اللغوية بين الدال والمدلول.
- إشارته إلى لسانيات الكلام ولسانيات العلامة.
- الفكر البنيوي الوصفي.

3. اللسانيات :

ورد في كتاب اللسانيات البنيوي منهجيات واتجاهات للدكتور مصطفى غلفان أن بدايات التصور والفكراللساني كانت بطريق غير مباشر مع بودوان دو كورتناي (1845-1929) Boudouin De Courtnay وويليام ويتني (1827-1894) William Whitney وفريديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure ، وعلى تفاوت جهودهم يعتبرون مؤسسي اللسانيات الحديثة وواضعي ملامحها النظرية والمنهجية الأولى . فهم ناقلوا البحث اللغوي من المرحلة التاريخية إلى المرحلة الوصفية وأعمالهم هي اللبنة الأولى التي بني من خلالها صرح اللسانيات الحديثة.[8]

موضوع اللسانيات هو اللغة، ومصطلح اللسان يشكل أو يدل على نظام تواصلي قائم بذاته، وهو نظام نجده لدى أي فرد – ملقيا كان أم مستمعا – ينتمي إلى جماعة لها خصوصياتها الثقافية والحضارية المتجانسة يشارك من خلالها الجميع في الاتصال ولهذا النظام مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية وغيرها.[9]

ويرى دي سوسير أن موضوع اللسانيات هو اللسان من خلال دراسته له لذاته ومن أجل ذاته، فهو يركز من خلال دراسته على اللسان البشري كهدف أو غاية وليس كوسيلة للحصول على أغراض أو معارف أخرى، فهي على حد قوله مجموعة أو منظومة الأدلة

المتفق عليها لتأدية غرض معين ألا وهو التبليغ، وهو يجعل اللغة مثل مجموعة مترامية الأطراف تحتوي على العديد من العناصر والتي من بينها اللسانيات.[10]

اللسانيات الحديثة والمعاصرة وصفت اللغة بأنها نظام من حيث أنها بنية شكلية وقواعد وظيفية من أهم وأبرز هذه الأعمال، جهود دي سوسير مع المدرسة البنيوية.

4. اللسانيات البنيـوية:

تعد الأعمال التي قدمها دي سوسير سواء من خلال محاضراته التي جمعت ونشرت من طرف ألبرت سيشهاي وتشارلز باليه أو مخطوطاته التي سربتها عائلته بعد وفاته بسنوات عديد أي بعدد نشر المحاضرات بسنوات، أولى وأم الدراسات البنيوي Stracturalisme فيعتبر دي سوسير أول من نادى بدراس اللغة دراسة علمي لذاتها ومن أجل ذاتها اعتمادا على المنهج الوصفي الآني ورفضا للمنهج التاريخي، مركزا على البنية الداخلية للغة وعلى نظامها المستقل وقوانينها دون مراعاة ما يحيط بها من الخارج – السياق – فقد اعتمد مبدأ المحايثة معتمدا نظام الثنائيات، رافضا التأثيل وتتبع اللغة والكلمات تاريخيا. وأفكاره، وثنائياته تعتبر ذات أهمية كبيرة في مجال اللسانيات الحديثة بما أحدثته من تغيير في مسار الدرس اللغوي ومجراه فأصبحت مبادئه رائدة في مجال اللسانيات.[11]

والبنيوية في العصر الذي نعيش فيه – ما بعد الألفية العشرين – قد أصبح من الغريب والعجيب الحديث عنها من جانب البحث عن تعريف لها لغوي واصطلاحي، بل وجب البحث في أعماقها وأغوارها لأننا وسابقينا مهما غاصوا في أعمال هذا العالم يبقى الغموض محيطا بها ويشوبها من كل جانب خاص بعد ظهور المخطوطات وما فندته من أفكار عديدة نقلت في كتاب محاضراته فلم يصل الكثيرون إلى فهم أفكاره كما أراد لها أن تكون ولا مقاصده التي أراد تبليغها. وفي حديثنا عن دي البنيوية تتراءى لنا مباشرة أفكار دي سوسير ونجد أنه لم يستخدمها كمصطلح بل كرر النسق والنظام بدلها، وهذا الأخير على حد رأيه ينتظم من خلاله اللغة عبر مجموعة من القوانين الداخلي لمركباتها وأجزائها. فظهور المصطلح إلى العلن كان أول مرة مع السلافيين في مؤتمر فقهاء اللغة 1929م في براغ من قبل رومان جاكبسون وتروبتسكوي وزملائهم، مشيرين إلى أن اللغة عبارة عن بنية أي نظام لا قيمة لأي عنصر من عناصرها إلا من خلال علاقته مع العناصر الأخرى من خلال التبادل والترابط والتعارض، وتهتم البنيوي بدراسة اللغة قبل كل شيء من جانب نظامها الداخلي والعلاقات الجزئية بين مكوناتها الداخلية، وكلمة بنيوية المستعملة اليوم تدل على معنى تجريدي بدأ مع دي سوسير والبنية Stracture تفهم على أنها مجموع منظم من علاقات وروابط بين أجزاء اللغة.[12]

فدي سوسير كما قلنا سلفا هو أول من دعا إلى دراسة اللغة كنظام – بنية – وبذلك سمي منهجه بنيويا أو بنويا، وقد اعتمد المنهج الوصفي الآني العلمي الدقيق للإبحار في نظامها وقوانينها الداخلية التي لا تحتاج في نظره إلى عنصر خارجي لفهمها، غاضا نظره عن الجوانب الخارجي الأخرى والتي على رأسها الجانب التاريخي التطوري للغة – التأثيل – الذي راج لدى سابقيه، فنادى من خلال نظريته إلى ضرورة جعل موضوع وهدف اللسانيات دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، ومن أهم ما جاء به دي سوسير طرح الثنائيات اللغوية التي تعد ذات أهمية بالغة وكبرى في الدرس اللساني الحديث[13]، ومن أبرز ثنائياته:

❖ **اللسان والكلام** : Langue et Parole

فرق عالم اللغة السويسري فيردينان دي سوسير بين ثلاث مصطلحات لغوية أساسية مبرزا الفروق الجوهرية بينها، فتحدث عن اللسان والكلام ليتدارك اللغة بعدها باعتبارها ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من خلال الملكة أو المخزون الموجود بداخل ذهن أي إنسان، فهي عبارة عن قواعد نحوية وقوانين اجتماعية مشتركة مستقرة بشكل تواضعي في أذهان أو أدمغة الناطقين باللسان الواحد، في حين جعل اللسان جزءا معينا متحقق من اللغة وهو اجتماعي ومكتسب ويشكل نظاما متعارفا عليه داخل جماعة لسانية وحد وعلى سبيل المثال نقول **لسان عربي، لسان فرنسي** ..... أما الكلام فهو المنطوق الفعلي أو الإنجاز الفردي لقواعد اللغة.

فدي سوسير يرى أنه لا يمكن نطق كلمة لسان أو لغة دون الرجوع أولا إلى الاختلاف والغموض الموجود أو الممكن بين اللسان وترجمته ونطقه أو تداوله.[14]

ولذلك وجدناه قد فرق بدقة بين هذه الكلمات وأعطى لكل منها مدلولها الخاص بها.

❖ **الدال والمدلول** Signifie et Signifiant:

اعتبر دي سوسير اللغة تواضعا رغم كونها نظاما، وهي بذلك ليست مفردات تقابل الأشياء وفقط معتبرا إياها علامة لغوية العلاقة بين طرفيها **اعتباطية** ولها وجهان – صورة سمعية ومفهوم – أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية مثلا كلمة – رَجُلٌ – هذه الكلمة مكونة من صورة سمعية وهي الإدراك النفسي لتتابع الأصوات – ر.ج.ل – والمفهوم هو مجموع من السمات الدالة عليه (حي، ناطق، عاقل، ذكر، إنسان ...) إذن الدال هو الصورة السمعية والمدلول هو التصور الذهني وباقتران الوجهين يتم المعنى والفهم، وفي اعتباره العلاقة بينهما اعتباطية يقصد أنها غير معللة.

❖ **التاريخية والآنية** Historique et Instantané:

يرى دي سوسير أن اللسان واقع مستقل من جهة ويخضع للتطور التاريخي من جهة أخرى، فهو يفرق بين نوعين من المناهج – تاريخي ووصفي – فالأول يرى أنه يهتم بتتبع التحولات التي تطرأ على اللغة فهو يقر بأن اللغة تتغير وتتطور عبر الزمن لكنه يرى أنه لا جدوى من الاهتمام فقط بتتبع الكلمات وتطورها تاريخيا لأن ذلك لا فائد منه، أما الثاني فيهتم بدراسة اللغة كما هي في الواقع دراسة آنية وهو ما اعتمده في منهجه، فالدراسة التزامنية لديه ترتكز على الواقع الراهن للغة التي يكشف نظامها من حيث كونها وحدات متزامنة ترتبط ببعضها على مستوى المحور الأفقي، وهذا الارتباط لا يمكن تبينه عبر النهج التاريخي الذي يعتمد التأثيل.[15]

5. أسس المنهج البنيوي – التحليل البنيوي - هي:

1.5 المستوى الصوتي:

أهم ما طبع الدرس الصوتي في العصر الحديث وفي فكر دي سوسير أنه لا ينظر إلى الأصوات ككيانات مادية مستقلة فهو يدرس كل المكونات في إطار نظام علمي، ويعتبر دراستها مستقلة خارج اهتمام اللسانيات، ففي نظره الفونولوجيا ليست إلا عنصرا إضافيا لعلم اللغة ولا يمكن ربطه إلا بالكلام، مشيرا في نفس الوقت إلى الجانب الوظيفي ودوره في إبراز القيم الدلالية داخل إطار ما سماه بالتقابلات الصوتية، فيولي أهمية كبرى للفروق بين الأصوات لا للأصوات في حد ذاتها بل لأن هذه الفروقات تساعد على التمييز بين الكلمات[16]، بحيث ويظهر المفهوم الصوري من خلال ما يتجلى اعتمادا على مبدأ الاختلافات من فوارق بين وحدات لسانية في نظام خاص بلغة معينة، ويعد في نظره المستوى الصوتي من أهم المستويات التي تكشف عن الصورة الحقيقية للمعنى ويرتكز عمله على مبدأين:

- **مبدأ التقابل:** يقوم أساسا على العلاقات الاستبدالية، ويتجلى دوره الرئيسي في إظهار خصائص النظام الفونولوجي للغة معينة، فتتحدد من خلاله الصفات المميز لكل فونيم ودي سوسير هو أول من تنبه إلى هذا المبدأ ودوره في عمل اللسان البشري.

فالتحليل الصوتي إذن ينطلق من مستوى الحروف بما يسمى بالعلاقات الاستبدالية الممكنة بين هذه الفونيمات من خلال تحديد الصفات التي تميز فونيما عن غيره، أي ما يقابله من الفونيمات في اللسان الواحد، وفي تحديد الاختلافات بين الفونيمات ضبط لخصائصها وضمان لتحقيق غرض التواصل.

على سبيل المثال لو قابلنا بين الكلمات (سار- زار – صار) سنجد أن الفارق في أول فونيم في نطقه ومدلوله أي فارق وظيفي (س – ز – ص) إضافة إلى كون " س – ز "

يتميزان بالانفتاح أما " ص " فسِمته الإطباق، " ز" جهوري أما " س – ص " فسِمتاهما الهمس، فالفوارق في النطق والمخارج التي بدورها ستؤدي إلى اختلافات في الوظائف والمعاني.

- **مبدأ التباين:** يبرز من خلال العلاقات التركيبية ويظهر عمل هذا المبدأ من خلال صف الخطية بين الفونيمات وهي صفة تقوم على الترتيب، معنى ذلك أن البنية الصوتية ليست إلا أصواتا مرتبة ومتعاقبة زمنيا وها يلغي القدرة على نطق وحدتين في آن واحد، فعلى سبيل المثال كلم " ألم " اسم يتركب من سلسلة من الأصوات المتعاقب والمرتبة " أ – ل – م" على خلاف كلمة " أمل " التي تتفق مع الأولى في الحروف لكن تخالفها في الترتيب " أ – م – ل" فإن كانا يحويان نفس الحروف فإن الدلالة تختلف.[17]

2.5 المستوى الصرفي والنحوي:

ظهر جليا اهتمام البنيوية بالمستويين الصرفي والنحوي والتركيبي باعتبار أن هذه المستويات هي الأساس الذي قامت عليه البنية، ونتج بذلك نسيج منسجم من العناصر والوحدات وبتراكب هذه الوحدات بعضها على بعض يتم المعنى في الخطاب بطريقة خاصة أي أنها تعتبر نظاما متناسق الأجزاء.[18]

وهنا يمكننا الحديث عن المحورين الاستبدالي والتوزيعي اللذان تحدث عنهما دي سوسير إذ ميز بين محورين أساسيين، فالاستبدالي يتضمن تلك العلاقات التي تظهر وظيفتها من خلال إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلامات اللغوي والعلامات الأخرى التي يمكن أن تحل محلها، والتي يجمعها بها خارج الخطاب شيء مشترك. والعلاقات التركيبي هي تلك التي ينظر إليها سوسير على أنها مبنية بصفة الخطية التي لا تقبل أبدا نطق عنصرين في آن واحد، وهذه العناصر تكون متجاورة أثناء الكلام، فالكلمات تكتسب قيمتها من خلال السياق الذي وردت فيه.[19]

وبذلك نستنتج أن النظام اللساني عند سوسير يرتسم من خلال تلك المجموعات من الوحدات التي تظهر كل واحدة منها من خلال العلاقات التي تتبادلها مع الوحدات الأخرى ومع المجموع العام للنظام. فالعلامة بذلك تكتسب قيمتها وهي داخل التركيب وفي إطار تقابلها مع بقية الوحدات، وأكد في ذات السياق اللغوي اللساني السويسري فردينان دي سوسير على ضرورة تصور اللسان على أنه نظام من العناصر التي تربطها علاقات في المستويات الصرفية والصوتية والدلالية والنحوية والتركيبية.

فالفكر البنيوي إذن يرى أن اللغة بنية فيها نظام متكامل، حيث اهتم بالصوت وبتصنيف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وما يضاف إليها من صور الفصل والوصل مع إبراز الطابع الخاص لأنماط اللغة وما ينتج عن ذلك من فكرة المعاقبة ثم الربط بين الصورة والوظيفة التي تؤديها في النظام.[20]

ومن هذا السياق تبرز وظيفة كل من المحورين الاستبدالي والتركيبي اللذان يمثلان الجانب الإجرائي الذي يعمل فيه النظام ويتحكم من خلاله في حركية العلامات وبذلك تتجسد آلية الاختلاف والتقابل فيما بينهما، ومثالا على ذلك ما ورد في كتاب الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيوية. ص90

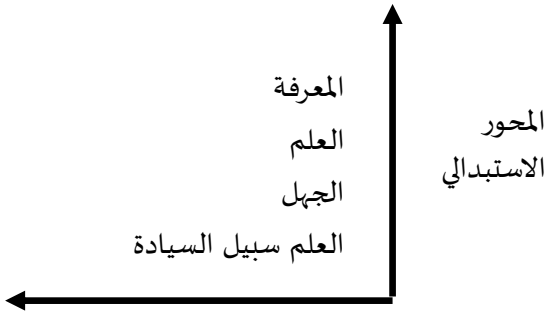

في تحليلنا لهذا المخطط البسيط نجد كلم العلم تتقابل مع كلمات أخرى من باب الترادف مثل المعرفة، وكلمات أخرى من باب التضاد كالجهل والتخلف..... وكلمات أخرى من باب التجانس كالحِلم مثلا.

فنستنتج إذن أن كلمة العلم تظهر قيمتها وتتضح دلالتها جلية من خلال تقابلها واستبدالها بكلمات أخرى، والاستبدال لا يكون في الكلمات فقط بل يتعداها إلى الحروف أيضا فلو استبدلنا مثلا حرف الفاء بالكاف لأصبحت " معركة".

أما العلاقات التركيبية فتظهر بين كل حرف وآخر مثل " م، ع، ر، ف، ة " وبين كلمة وأخرى مثل العلم + سبيل + المعرفة.

حيث وضح سوسير في هذا السياق بان الوحدة تنقسم إلى جزئين فرعيين -désir eux غير أنهما ليسا جزأين مستقلين بل كل منهما مكمل للآخر لا قيم له من دونه مثال ذلك الفعل اللازم في الجملة الفعلية لا معنى له دون فاعل والمتعدي لا معنى له دون فاعل ومفعول ببه وكذلك الجملة الإسمية لا قيمة فيها للمبتدأ دون خبر.[21]

فالبنية إذن وتحليلها في فكر سوسير والبنيوية قد ظهرت بوادرها عند النحاة سابقا أمثال سبويه في كتابه – الكتاب – ولدى الخليل أيضا حين تحدثا عن المعنى والمبنى، فالمعنى في نظرهما يبدأ من أصغر الوحدات وهي الأصوات والحروف وأما الجملة فهي وحدة كبرى كما تحدثوا عن فكرة التضام والتركيب والتي تظهر بجلاء لدى ابن جني والجرجاني والتي تهتم بتحديد المكونات الكبرى للجملة من خلال العلاقات بين الكلمة وما جاورها وهو ما سموه بعلاقة الإضافة وعلاقات التبعية وغيرها بين الوحدات في السياق.[22]

ودراسة دي سوسير رغم كونها جدية إلا أنها ليست كلية شاملة فهناك من يرى أنه "منذ رسم الخرائط من طرف دي سوسير خارج مناخها الطبيعي وجدنا أنه قد نما منها جزء واحد فقط من دراستنا الحالية، وهو ليس إلا مجرد قائمة بيانات ببليوغرافية لا يمكن اعتبارها مرضية جدا وإلى حد بعيد، بل هي مجرد اقتراح من جانب فقط لشيء لا يزال غائبا عن التاريخ الحديث لعلم اللغة ".[23]

وعليه فدي سوسير قد حقق الكثير في علم اللغة مما لم يسبقه إليه أحد وقد برز ذلك بوضوح في أعماله التي اعتبرت مبدأ ومستند كل الدراسات اللغوية التي جاءت بعده، إلا أنها قد أهملت جوانب عديدة على رأسها السياق الخارجي وكل ما يحيط باللغة من الخارج.

6. الخـــاتمة:

وفي الختام إذن يمكننا القول بأن دي سوسير العالم اللغوي السويسري قد أحدث قفزة نوعية في مجال الدرس اللغوي أو ما سمي حديثا – اللسانيات – من خلال اعتماد منهج علمي وصفي آني في دراسته للغة البشرية، فقد درس اللغة من أجلها لا من أجل شيء آخر، وهو ما عكسته محاضراته التي جمعت ونشرت بعد وفاته وكذا مخطوطاته التي سربت بعد ذلك بكثير والتي ثبتت بعض الأفكار التي نشرت من خلال محاضراته ودحضت أخرى أو بالأحرى الكثير منها ومن مسلماتها التي سادت لعقود.

إلا أن المشترك والواضح من خلال محاضراته التي جمعت ومخطوطاته هي نظرته للغة واعتماده المنهج الوصفي الآني بدل التاريخي، وتركيزه على البنية التي سماها نسقا أو نظاما معتمدا مبدأ المحايثة في ذلك وبذلك فقد درس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، كما أبرز من خلال ثنائياته الفروق الجوهرية بين اللغة والكلام واللسان، وبين الدال والمدلول مبينا اعتباطية العلاقة بينهما كما أورد المحورين الاستبدالي والتركيبي والتاريخي والآني. وفي تحليله البنيوي للغة فقد مر بأصغر الوحدات الصوتية دون أن يهمل النحو والصرف والتركيب

والعلاقات بين الوحدات في الكلمة الواحدة وبين الكلمات أيضا، إلا أن أهم ما يعاب عليه هو إهماله السياق الخارجي للغة وكل ما يحيط بها.

7. الهوامش:

[1] ينظر: فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل عزيز يوسف، 1975، دروس في علم اللغة العام، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، ط1، ص8.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 9-10.

[3] ينظر: جورج مونان، ترجمة أحمد زكريا ابراهيمي،2002، علم اللغة والترجمة، ط1، المشروع القومي للترجمة، مصر، ص19.

[4] ينظر: الطيب دبة، 2001، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستومولوجية، ط1، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين الجزائريين، الجزائر، ص55.

[5] ينظر: أحمد مومن، 2005، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص12.

[6] ينظر: عبد الرحمن حاج صالح، 2007، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الآفاق، ص7.

[7] ينظر: فرديناند دي سوسير، المرجع السابق، ص27.

[8] ينظر: مصطفى غلفان، يونيو2013، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ص17.

[9] ينظر: نعمان بوقرة، 2003، المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، مكتبة الآداب، القاهرة، ص67.

[10] ينظر: فرديناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قنيني، 1987، محاضرات في علم اللسان العام، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، ص ص 29-30.

[11] ينظر: أحمد حساني، 2013، مباحث في اللسانيات، ط2،كلية الدار الإسلامية والعربي، دبي، ص ص32-33.

[12] ينظر: عبد الجليل مرتاض، 2005، الظاهر والمختفي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، ص ص 47-48.

[13] ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق، ص132.

[14] S.Bouquet et R.Eengler, préface a Ferdinand. De. Saussure, Ecris de linguistique générale, p8.

[15] ينظر: أحمد حساني، المرجع السابق، ص ص34-35.

[16] ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص ص160-161.

[17] ينظر: صورية جغبوب، 2012، قضايا اللسانيات بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ص94.

[18] ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص89.

[19] ينظر: صلاح فضل، 1992، النظرية اللسانية في النقد الأدبي، ط1، مؤسسة مختار للنشر، القاهرة، مصر، ص21.

[20] ينظر: حسام هنساوي، 1994، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ط1، جامعة القاهرة، مصر، ص21.

[21] ينظر: طيب دبة، المرجع السابق، ص ص90-91.

[22] ينظر: حسام هنساوي، المرجع السابق، ص27.

[23] PR of Philosophy Ernst Frideryk Koerner, Ferdinand De Saussure, Origine and devlopement of his linguistic theory in western stadies of language, 1965, Freie university Berlin, p42.

8. قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد حساني، 2013، مباحث في اللسانيات، ط2، كلية الدار الإسلامية والعربي، دبي، الامارات العربية المتحدة.
- أحمد مومن، 2005، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- جورج مونان، ترجمة أحمد زكريا ابراهيمي، 2002، علم اللغة والترجمة، ط1، المشروع القومي للترجمة، مصر.
- حسام هنساوي، 1994، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ط1، جامعة القاهرة، مصر.
- صلاح فضل، 1992، النظرية اللسانية في النقد الأدبي، ط1، مؤسسة مختار للنشر، القاهرة، مصر.
- صورية جغبوب، 2012، قضايا اللسانيات بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.
- الطيب دبة، 2001، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستومولوجية، ط1، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين الجزائريين، الجزائر.
- عبد الجليل مرتاض، 2005، الظاهر والمختفي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، بن عكنون، الجزائر.
- عبد الرحمن حاج صالح، 2007، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الآفاق.
- فرديناند دي سوسير، ترجمة عبد القادر قنيني، 1987، محاضرات في علم اللسان العام، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب.
- فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل عزيز يوسف، 1975، دروس في علم اللغة العام، ط1، دار آفاق عربية، بغداد، العراق.

❖ مصطفى غلفان، يونيو2013، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان.
❖ نعمان بوقرة، 2003، المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، مكتبة الآداب، القاهرة.
❖ PR of Philosophy Ernst Frideryk Koerner, Ferdinand DéSaussure, Origine and devlopement of his linguistic theory in western stadies of language, 1965, Freie university Berlin.
❖ S.Bouquet et R.Eengler, préface a Ferdinand. De. Saussure, Ecris de linguistique générale.